ماذا بعد فقد الأحبة؟



لوصيته

إعداد
أبي عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان للنشر والتوزيع

وَاللَّفْظُ لَـه، وَرَوَاهُ مُسْلِم (٢٩٨٨).

مَا يُعْمَلُ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ عَمَلِ البِرّ: (أَيْ بَعْدَ مَوْتِهِ):

إِخْوَانِي فِي الله مَا مِنْ أَحِدٍ مِنَّا إِلَّا وَقَدْ فَقَدَ أُمًّا غَالِيَةً أَوْ أَبًا عَزِيزًا أَوْ أَخًا حَبِيبًا أَوْ صَدِيقًا قَرِيبًا: هُمْ الآن رَهِينُوا أَفْعَالِهِمْ: انْقَطَعَتْ أَعْمَالُهُمْ، وَانْتَهَتْ آجَالُهُمْ؛ وَلَكِنْ شَتَّان وَشَتَّان بَيْنَ أَهْلِ الإِيمَان وَأَصْحَاب الغَفْلَةِ وَالنِّسْيَان.

فَإِنَّ مِنْ رَحْمَةِ الله بِعِبَادِهِ أَنْ فَتَحَ لَنَا بَابَ الخَيْرِ لِنَفْعِ الغَيْرِ بِإِذْنِ الله، فَلْنُبَادِرِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ عَسَى الله أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمْ.

«وَالدَّلِيلُ عَلى انْتِفَاعِ المَيِّتِ بِغَيْرِ مَا تَسَبَّبَ فِيهِ، الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ وَالقِيَاسُ الصَّحِيح» «شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّة» (ص ٣٨٦).

وَ أَمَّا الأَعْمَالُ الَّتِي يُنْتَفَعُ بِهَا:

١/ الدُّعَاءُ وَ الاسْتِغْفَارُ:

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: « اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٣٢٢١)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٩٤٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه (٣٦٦٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٢٤٩٧).

٢/ الصَّدَقَة:

* عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟

قَالَ: « نَعَمْ » رواه البخاري (١٣٨٨)، ومسلم (١٠٠٤).

وَمِنْ أَفْضَلِ الصَّدَقَةِ سَقْيُ المَاءِ؛ وَذَلِكَ «لِأَنَّهُ أَعَمُّ نَفْعًا فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ خُصُوصًا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الْحَارَّةِ» «عَوْنُ المَعْبُود» (٥/ ٦٥).

* عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟

قَالَ « نَعَمْ ».

قُلْتُ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟

قَالَ « سَقْيُ الْمَاءِ » رَوَاهُ النَّسَائِي (٣٦٦٤)، وَقَالَ الأَلْبَانِي «حَسَن لِغَيْرِه» فِي «صَحِيح التَّرْغِيب» (٩٦٢).

٣/ قَضَاءُ الدَّيْنِ:

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ، لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: « هَلْ عَلَيْهِ مِنْ دَيْنٍ؟ » قَالُوا: لاَ.

فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ أُخْرَى، فَقَالَ: « هَلْ عَلَيْهِ مَنْ دَيْنٍ؟ » .قَالُوا نَعَمْ.

قَالَ: « صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ ».

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ :عَلَيَّ دَيْنُهُ يَا رَسُولَ اللهِ .

فَصَلَّى عَلَيْهِ» رواه البخاري (٢٢٩٥).

٤/ الصَوْمُ:

* عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ » رواه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

* وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا؟

فَقَالَ: « لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ عَنْهَا ؟ »

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: « فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى» رواه البخاري (١٩٥٣)، ومسلم (١١٤٨)، واللفظ له.

٥/ الحَجُّ وَالعُمْرَةِ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا ؟

قَالَ: « نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللهَ، فَاللهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ » رواه البخاري (١٨٥٢).

قِصَّةٌ مُؤَثِّرَةٌ:

قَالَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيّ رحمه الله: « دَخَلْتُ عَلَى عَابِدٍ بِالبَصْرَةِ وَإِذَا أَهْلُ بَيْتِهِ حَوْلَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْهُودٌ قَدْ أَجْهَدَهُ الاجْتِهَاد.

قَالَ: فَبَكَى أَبُوهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الشَّيْخُ مَا الَّذِي يُبْكِيكَ؟

قَالَ: يَا بُنَيَّ أَبْكِي فَقْدَكَ وَمَا أَرَى مِنْ جَهْدِكَ.

قَالَ: فَبَكَتْ أُمُّهُ، فَقَالَ: أَيَّتُهَا الوَالِدَةُ الشَّفِيقَةُ الرَّفِيقَةُ مَا الَّذِي يُبْكِيكِ ؟

قَالَتْ: يَا بُنَيَّ أَبْكِي فِرَاقَكَ وَمَا أَتَعَجَّلُ مِنَ الوَحْشَةِ بَعْدَكَ.

قَالَ: فَبَكَى أَهْلُهُ وَصِبْيَانُهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ اليَتَامَى بَعْدَ قَلِيلٍ مَا الَّذِي يُبْكِيكُمْ؟

قَالُوا: يَا أَبَانَا نَبْكِي فِرَاقَكَ وَمَا نَتَعَجَّلُ مِنَ اليُتْمِ بَعْدَكَ.

قَالَ: فَقَالَ: أَقْعِدُونِي أَقْعِدُونِي أَلَا أَرَى كُلَّكُمْ يَبْكِي لِدُنْيَاي أَمَا فِيكُمْ مَنْ يَبْكِي لِآخِرَتِي؟!

أَمَا فِيكُمْ مَنْ يَبْكِي لِمَا يَلْقَاهُ فِي التُّرَابِ وَجْهِي؟!

أَمَا فِيكُمْ مَنْ يَبْكِي لِمُسَاءَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَإِيَّاي؟!

أَمَا فِيكُمْ مَنْ يَبْكِي لِوُقُوفِي بَيْنَ يَدَيْ الله رَبِّي؟!

قَالَ: ثُمَّ صَرَخَ صَرْخَةً فَمَاتَ» «صِفَةُ الصَّفْوَة» (٤/ ١٨).

وَفِي الخِتَام:

إِخْوَانِي فِي الله اعْلَمُوا أَنَّ « المَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ يَتَحَسَّرُونَ عَلَى زِيَادَةٍ فِي أَعْمَالِهِمْ بِتَسْبِيحَةٍ وَ بِرَكْعَةٍ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْأَلُ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِذَلِك، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِك، قَدْ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ العَمَل...

وَ رُئِيَ بَعْضُهُمْ فِي المَنَامِ فَقَال: نَدِمنَا عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ: نَعْلَم وَ لَا نَعْمَل، وَ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَلَا تَعْلَمُون، وَالله لَتَسْبِيحَةٌ أَوْ تَسْبِيحَتَان، أَوْ رَكْعَةٌ أَوْ رَكْعَتَان فِي صَحِيفَةِ أَحَدِنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

قَالَ بَعْضُ السَّلف : «كُلُّ يَوْمٍ يَعِيشُ فِيهِ المُؤْمِنُ غَنِيمَة»..

مَنْ أَصْلَحَ فِيمَا بَقِي غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِي أُوخِذَ بِمَا بَقِي وَمَا مَضَى» «لَطَائِفُ المَعَارِف» (ص٤٠٨).

نَصِيحَةٌ: إِخْوَانِي فِي الله..فَلَا تَنْسَوا الأَمْوَات مِنَ الآبَاءِ وَالأُمَّهَات، وَالإِخْوَةِ وَالأَخَوَات..بِالدَّعَوَات وَالصَّدَقَات..فَإِنَّهُمْ بِأَمَسِّ الحَاجَةِ إِلَى ذَلِك..

جَعَلَنَا الله وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ قَالَ الله عَنْهُمْ: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾ [سُورَةُ الرَّعۡدِ].

عَلَى أَمَلٍ بِاللّه أَنَّا سَنَلْتَقِي	عَلَى سُرُرِ الفِرْدَوسِ فَاللّه رَائِفُ
سَنَذْكُرُ وَعْدًا مِنْ مَلِيكٍ مُهَيْمِنٍ	بِجَنَّةِ عَدْنٍ حِينَ يَهْتِفُ هَاتِفُ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَادْخُلُوهَا بِرَحْمَةٍ	وَيَمْتَازُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ تَعَارُفُ

وَصَلَّى الله عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحِبِه أَجْمَعِين،

وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله الجَلِيل وَصْفُه، الجَمِيل لُطْفُه، الجَزِيل ثَوَابُه، الشَّدِيد عِقَابُه، الحَيِّ القَيُّوم، الَّذِي أَوْجَدَ الكَوْنَ مِنْ عَدَمٍ وَدَبَّرَه، وَخَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَقَدَّرَه، ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ مَا أَعَزَّه وَأَقْدَرَه، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه شَهَادَةَ مُعْتَرِفٍ بِوَحْدَانِيَّتِه، مُقِرٍّ بِأُلُوهِيَّتِه وَرُبُوبِيَّتِه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ أَفْضَل بَرِيَّتِه، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِه وَأَصْحَابِهِ صَفْوَةَ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ وَخِيرَتِه.

أَمَّا بَعْدُ: **إِخْوَانِي فِي اللّه ..إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي اللّه.**

إِنَّ الدُّنْيَا جُبِلَتْ عَلَى المَصَائِب، وَطُبِعَتْ عَلَى المَتَاعِب: بَلَاء وَنَكَد ابْتِلَاء وَكَبَد: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [سُورَةُ البَلَدِ].

وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ المُصِيبَات الَّتِي تَنْزِلُ، وَالمُدْلَهِمَّات الَّتِي تَحُلّ: فَقْدُ الأَحِبَّة مِنَ الآبَاءِ وَالأُمَّهات، وَالإِخْوَة وَالأَخَوَات، وَالأَخْوَالِ وَالخَالَات، وَالأَعْمَام وَالعَمَّات.. وَالأَحْبَاب وَالأَصْحَاب كَمَا قَالَ الله ﷻ: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ١٠٦].

فَيَا الله! مَا أَصْعَبَهَا مِنْ لَحظَات! وَأَعْسَرَهَا مِنْ دَقَائِقَ وَسَاعَات! يَوْمَ تَرَى حَبِيبًا لَكَ يُفَارِقُ الحَيَاة إِلَى قَبْرِهِ وَتُرَابِه فَتَتَجَرَّعُ مَرَارَة الفِرَاق وَالوَدَاع.

﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [سُورَةُ طه].

فَكَيْفَ يَقْوَى العَبْدُ عَلَى أَنْ يَدْفِنَ أُمَّهُ وَيَضَعُهَا فِي قَبْرِهَا وَهُوَ يَتَذَكَّرُ حَنَانَهَا وَعَطْفَهَا..يَتَذَكَّرُ أَيَّامَهَا الجَمِيلَة وَأَخْلَاقَهَا النَّبِيلَة؟!

وَكَيْفَ يَقْوَى العَبْدُ عَلَى دَفْنِ أَبِيه الَّذِي جَدَّ وَاجْتَهَدَ وَتَعِبَ فِي الحَيَاة لِيُؤَمِّل لِأَبْنَائِهِ قَارِبَ النَّجَاة؟!

وَكَيْفَ يَقْوَى العَبْدُ عَلَى دَفْنِ ابْنِهِ الَّذِي هُوَ فَلْذَةُ كَبِدِهِ، وَخُلَاصَةُ فُؤَادِهِ؟!

وَكَيْفَ يَقْوَى العَبْدُ عَلَى دَفْنِ حَبِيبٍ لَهُ وَهُوَ يَتَذَكَّرُ ابْتِسَامَتَهُ وَطِيبَ كَلَامِهِ وَحُسْنَ أَخْلَاقِهِ؟!

فَفِي هَذِهِ المَوَاقِفِ يَظْهَرُ جَلِيًّا أَثَرُ الإِيمَانِ بِالله وَاليَوْمِ الآخِر، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٍ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٍ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

عِبْرَةٌ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: « اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي».

قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى» رواه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦).

مَا يُقَالُ عِنْدَ المُصِيبَة:

مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَهُ العَبْدُ عِنْدَ المُصِيبَة مَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ:

فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا؛ إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا».

قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ» رَوَاهُ مُسْلِم (٩١٨).

أُمُورٌ لَا تُنَافِي الصَّبْر:

١/البُكَاءُ بِضَوَابِطِهِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ..فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ: « يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ »، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ: « إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» رواه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ حَجَر رحمه الله: «هَذَا الحَدِيثُ يُفَسِّرُ البُكَاء المُبَاح، وَالحُزْن الجَائِز، وَهُوَ مَا كَانَ بِدَمْعِ العَيْن وَرِقَّة القَلْب مِنْ غَيْر سَخَط لِأَمْر الله..» «فَتْحُ البَارِي» (٣/ ١٧٤).

٢/الشَّكْوَى إِلَى اللّه تَعَالَى:

وَلَنَا فِي نَبِيِّ الله يَعْقُوب عليه السلام أُسْوَة حَسَنَة؛ فَلَمَّا أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُ إِنَّمَا شَكَا إِلَى الله وَحْدَه، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ].

«شَكَا إِلَى الله وَلَمْ يَشْكُ مِنَ الله، وَمَنْ شَكَا إِلى الله وَصَل، وَمَنْ شَكَا مِنَ الله انْفَصَل، وَلَمَّا شَكَا إِلَى الله، وَجَدَ الخَلَفَ مِنَ الله» «اللَّطَائِفُ وَالإِشَارَات» (٣/ ٢٠٠).

أَمَّا «إِذَا شَكَا العَبْدُ رَبَّهُ إِلَى مَخْلُوقٍ مِثْله فَقَدْ شَكَا مَنْ يَرْحَمُهُ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُهُ» « عُدَّةُ الصَّابِرِين» (ص٢٣٢).

مِنَ المُنْكَرَاتِ العَظِيمة عِنْدَ نُزُولِ المُصِيبَة:

لَقَدْ نَهَى الشَّرْعُ الحَكِيم عَنْ كُلِّ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ يَدُلُّ عَلَى التَّسَخُّطِ، وَعَدَمِ الصَّبْرِ وَالرِّضَا بِقَضَاءِ الله وَقَدَرِه:

١/تَمْزِيقُ الثِّيَاب وَالدُّعَاءُ بِالوَيْل:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «لَعَنَ الْخَامِشَةَ وَجْهَهَا، وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا، وَالدَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه (١٥٨٥)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٥٠٩٢).

وَمَعْنَى الحَدِيث:

«(الْخَامِشَةَ وَجْهَهَا) أَيْ جَارِحَتهُ بِأَظْفَارِها وَخَادِشَتهُ بِبَنَانِهَا، (وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا) أَيْ جَنْب قَمِيصِهَا عِنْدَ المُصِيبَة، (وَالدَّاعِيَةَ) عَلَى نَفْسِهَا (بِالْوَيْلِ) أَيْ الحُزْن وَالمَشَقَّة، (الثُّبُورِ) الهَلَاك: يَا حُزْنِي يَا هَلَاكِي» «فَيْضُ القَدِير» (٥/ ٣٤١).

وَكَذَلِكَ مِمَّا لَا يُشْرَعُ اتِّخَاذ لَوْنٍ مُعَيَّنٍ لِلِّبَاسِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الحُزْنِ كَالأَسْوَدِ مَثَلًا، قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِح العُثَيْمِين رحمه الله: «لُبْسُ السَّوَادِ عِنْدَ المَصَائِبِ شِعَارٌ بَاطِلٌ؛ لَا أَصْلَ لَه» «فَتَاوَى عُلَمَاء البَلَد الحَرَام» (ص٨٢١).

٢/لَطْمُ الخُدُود وَشَقُّ الجُيُوب وَالدُّعَاء بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّة:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» رَوَاهُ البُخَارِي (١٢٩٤)، وَمُسْلِم (١٠٣).

وَمَعْنَى الحَدِيث:

«وَشَقَّ الْجُيُوبَ» جَمْعُ جِيب، وَ«الجِيب: مَا شَقَّ مِنَ الثَّوْب لِإِدْخَالِ الرَّأْس» «تَيْسِيرُ العَلَّام» (ص٣٩٤).

«وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»: « وَذَلِكَ بِالتَّفَجُّع عَلَى المَيِّت وَالنِّيَاحَةِ عَلَيْه بِأَنَّهُ قَاتِلُ النُّفُوس وَكَهْفُ العَشِيرَة وَكَافِلُ الأَيْتَام.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَنَاقِبِ الَّتِي كَانُوا يُعَدِّدُونَهَا، وَمِثْلُهُ النّدبَة كَـ« يَاسَنَدَاه » وَ « انْقِطَاعُ ظَهْرَاه » وَكُلُّ قَوْلٍ يُنْبِئ عَنْ السَّخَطِ وَالجَزَعَ مِنْ قَدَرِ الله تَعَالَى وَحِكْمَتِهِ» «تَيْسِيرُ العَلَّام» (ص٣٩٤).

٣/النِّيَاحَة عَلَى المَيِّت:

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» رَوَاهُ مُسْلِم (٩٣٤).

وَمَعْنَى الحَدِيث:

«أَيْ يَصِيرُ جِلْدُهَا أَجْرَبًا حَتَّى يَكُونَ جِلْدُها كَقَمِيصٍ عَلَى أَعْضَائِهَا وَ«الدِّرْعُ» قَمِيصُ النِّسَاء وَ«القَطِرَان» دُهْنٌ يُدْهَنُ بِه الجَمَلُ الأَجْرَبُ فَيَحْتَرِقُ لِحِدَّتِه وَحَرَارَته فَيَشْتَمِلُ عَلَى لَذْعِ القَطِرَان وَحُرْقَتِهِ وَإِسْرَاع النَّارِ فِي الجِلْدِ وَاللَّوْنِ الوَحِش وَنَتَنِ الرِّيح جَزَاءً وِفَاقًا، فَخُصَّتْ بِذَلِكَ الدِّرْع لِأَنَّهَا كَانَتْ تَجْرَحُ بِكَلِمَاتِهَا المُؤَنَّقَة قَلْبَ المُصَاب، وَبِلَوْنِ القَطِرَان لِكَوْنِهَا كَانَتْ تَلْبسُ السَّوَادَ فِي المَآتِم» « فَيْضُ القَدِير » (٦/ ٣٨١).

تَنْبِيهٌ: وَفِي العَامِيَّةِ الجَزَائِرِيَّةِ العَدِيدُ مِنَ العِبَارَاتِ المُحَرَّمَةِ الَّتِي قَدْ تُقَالُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ هَدَاهُمْ الله عِنْدَ المُصِيبَةِ؛ مِنْهَا:

١/ «تْفَكّْرُو رَبِّي»: فِيهَا وَصْفٌ لله تَعَالَى بِالنِّسْيَان وَالعِيَّاذُ بِالله، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [سُورَةُ مَرْيَم].

٢/ «وَعْلَاش يَا رَبِّي»، «شَفْتْنَا غِيرْ حَنَا يَا رَبِّي»، «لُو كَانْ غِير خَلَّاه لَوْلَادُو»: وَغَيْرِهَا مِنَ الكَلِمَات الَّتِي تَدُلُّ عَلَى ضُعْفِ الإِيمَان خَاصَّةً بِالقَضَاء وَالقَدَر الَّذِي هُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَان، وَفِيهَا وَصْفٌ لله تَعَالَى بِالظُّلْم تَعَالَى الله ﷻ عَنْ ذَلِك، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [سُورَةُ فُصِّلَتْ].

٣/ «المَرْحُوم»، «المَغْفُورُ لَه»: لَا يُجْزَمُ لِأَحَدٍ بِعَيْنِه بِأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَه أَوْ مَرْحُومٌ؛ بَلْ يُدْعَى لَه: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَه، اللَّهُمَّ ارْحَمْه».

فَلْنَحْذَر كُلّ الحَذَر مِنْ هَذِه الكَلِمَات، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ » رَوَاهُ البُخَارِي (٦٤٧٨)